(ميلاد خاتم المرسلين)

الحمد لله رب العالمين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله لاإله غيره ولامعبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره...ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له القائل :

(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله القائل : (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فيقول الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) .

عباد الله : فقد تحدثنا فى اللقاء الذى قبل السابق عن ميلاد عيسى عليه السلام ، وعيسى عليه السلام هو آخر رسول من بنى إسرائيل لبنى إسرائيل كما قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم)

لأن الله أرسل الأنبياء جميعا لأقوامهم ماعدا رسولا واحدا أرسله الله إلى الناس كافة وهو محمد صلى الله عليه وسلم من مجموع 124 ألف نبي ورسول قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)

فأول رسول لبنى إسرائيل هو إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وهو حفيد سارة عليها السلام الذى بشرها ربها به وبأبيه فقال : (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) ثم انقطعت النبوة بعد عيسى عليه السلام أكثر من : 600 ستمائة عام حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

فجميع الأنبياء والمرسلين كانوا من بنى إسرائيل ماعدا : آدم وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح وإبراهيم ، ولوط ، وإسماعيل ، وإسحاق عليهم الصلاة والسلام ، وهؤلاء سبقوا يعقوب : إسرائيل عليه السلام ثم محمد صلى الله عليه وسلم فهو من أبناء إسماعيل عليه السلام ، ولم يكن بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين إسماعيل أنبياء أومرسلين قال تعالى : (لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ومن سورة يس : (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) ولقد أخذ الله العهد والميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا ما فى كتبهم من البشارات لمن سيأتى بعدهم من الأنبياء والمرسلين حتى لا يُفاجأ الناس ببعثة هذا النبي أو هذا الرسول القادم... إلا أن أهل الكتاب كتموا هذه البشارات قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) ولم يقف الأمر عند الكتمان وفقط ، بل حرفت اليهود والنصارى الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل) التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام ، والإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام قال تعالى فى أهل الكتاب : (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وليس التحريف وفقط بل كتبوا بأيديهم فى الكتب المقدسة قال تعالى : (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ) ولقد كان عرب المدينة أسبق للإسلام من عرب مكة لأن اليهود كانوا يخبرونهم عن قرب بعثة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فلما جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) وقد يقول قائل : لماذا كفروا به مع أنهم أخبروا عن قرب ظهوره ؟ نقول : لأنهم كانوا يعتقدون بأن الرسول القادم سيكون تابعا لليهود مع أنه ليس منهم وهم يعرفون ذلك ويعرفون بأن خاتم النبيين سيكون من العرب ، وكانوا يأملون أن تظل الهداية فيهم ، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم ورأى اليهود أن الهداية قد نقلت إلى غيرهم حسدوا الرسول على هذا الشرف العظيم وكذلك حسدوا أمته...قال تعالى : (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَالْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) وبعد ثلاث آيات يقول : (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ

الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ولماذا فعلوا ذلك ؟ لتظل مناصبُهم قائمة ، وسلطتهم حاكمة ، ودينهم مهيمن ، فالكتب المقدسة بشرت بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد حفظ لنا القرآن الكريم هذه البشرى من التحريف والتبديل كما استمعتم : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ومن المبشرات كذلك : ما جاء في السيرة النبوية على لسان أمه آمِنَةُ عليها السلام وهي تروى حِينَ حَمَلَتْ به سمعت من يقول لَهَا : إِنَّكِ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، فَإِذَا وَقَعَ إِلَى الأَرْضِ **فَقُولِي :** أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ ، ثُمّ سَمِّيهِ مُحَمَّدًا ، وَرَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِه أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أضاء قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشّامِ ، ولقدْ شرُفَتْ مكةُ المكرمةُ بمولد النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم صبيحة يومِ الإثنين الثانِي عشرَ مِنْ شهرِ ربيعِ الأولِ عامَ الفيلِ ، وكانَ مولدهُ صلى الله عليه وسلم فِي أشرفِ بيتٍ مِنْ بيوت العربِ ، وَأشرفِ بطنٍ مِنْ بطونِ قريشٍ وهُمْ بنُو هاشِمٍ ، ولقَدْ وُلِدَ صلى الله عليه وسلم يتيم الأبِ حيثُ فَقَدَ أَبَاهُ قبلَ مولِدِهِ ، كما قالَ تعالى : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) فلم يمكث أبوه مع أمه بعد زواجه منها سوى ثلاثة أيام ثم خرج فى قافلة إلى الشام وعند عودته مات فى الطريق سبحان الله ! كأنه وجد ليؤدِّيَ دَوْرًا **مَا** فلما أدَّاه اختاره ربُّه ، وقد سيطر حبه صلى الله عليه وسلم على جميع أمته خاصة الذين رأوه وعاشروه ، فلقد جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : متى الساعة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أعددت لها؟) قال : إني أحب الله ورسوله ، قال صلى الله عليه وسلم : (أنت مع من أحببت) بهذا الحب أخى المسلم سنلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحوض يوم القيامة فنشرب شربة هنيئة لانظمأ بعدها أبداً حتى ندخل الجنة إن شاء الله...**قولوا : آمين ولم لا ؟** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من توفى من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه) ويشهد الله على ذلك فيقول : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) فكمال الإيمان في محبته لقوله صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...) وقال صلى الله عليه وسلم : (لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) فتاريخ الصحابة ملئ بالأمثلة : فها هو زيد بن الدثنة رضي الله عنه يضرب المثل الأعلى لهذا الحب وهم يقدمونه للقتل عندما قال له **أبو سفيان** : أناشدك الله يا زيد ، أتحب أن يكون **محمد** فى مكانك نضربُ عُنقه وأنت فى أهلك سَالِمًا ؟ فقال زيد فى شجاعة وحُب : والله ما أحب أن أكون فى أهلى سالمًا **ومحمد** صلى الله عليه وسلم فى مكانه تصيبه شوكة ، فقال **أبو سفيان** معلقاعلى هذا الموقف فى دهشة : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا **وقال القرطبي رحمه الله :** كان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحب له قليل الصبر عن رؤيته أتاه ذات يوم وقد تغيرلونه وهزل جسمه ، وعلته سحابة من الحزن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (ما بك ياثوبان؟) قال : يا رسول الله...ما بي من وجع غير أنى إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك ، لأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل الجنة لن أراك أبداً فأنزل الله تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) **وهذا بلال رضي الله عنه** عندما حضرته الوفاة بكى أبناؤه وقالوا : واكرباه ، فقال : واطرباه...غدا ألقى الأحبة محمدا وصحبه .

ولم تكن محبة النبي صلى الله عليه وسلم من البشر فقط...بل تعدت ذلك إلى الجماد...فلقد بكى الجذع الذي كان يخطب عليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين تحول إلى المنبر ، وسمع له صوت فنزل صلى الله عليه وسلم من على المنبر فاعتنقه حتى سكت ثم قال : (لو لم أعتنقه لحنّ إلى يوم القيامة) وكان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال : هذه خشبة تشتاق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه...

فاتقوا الله ياعباد الله واقتدوا برسولكم الكريم فى أقواله وأفعاله ، وأكثروا من الصلاة والسلام عليه فهذا أكبرتكريم له فى يوم ذكراه ، وقال صلى الله عليه وسلم :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)